في حوار مع الدكتور مأمون جرار

الأدب الإسلامي أدب الإنسان والحياة والوجود

حوار
أماني حاتم بسيسو
ولبيبة محمود عيسى

دكتور مأمون جرار أحد الوجوه الأدبية والنقدية في ساحة الأدب الإسلامي في الأردن، تغنى بقصائده للفجر الآتي، وسجل معاناة الشعوب الإسلامية عامة، والشعب الفلسطيني خاصة في: مشاهد من عالم القهر، والقدس تصرخ.

واهتم بالدراسات الأدبية والنقدية في مجال الأدب الإسلامي فكتب عن خصائص القصة الإسلامية (رسالة دكتوراه) ، والاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ونظرات إسلامية في الأدب الحياة.

وهو يرأس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن منذ سنوات. مجلة «الأدب الإسلامي» التقت د. مأمون في هذا الحوار:

*** إلى أي فن من فنون الأدب كان اتجاه اهتمام الدكتور جرار؟**

كانت بداياتي سنة ١٩٦١م مع الشعر، ونشرت إنتاجي في جريدة المنار والشهاب والمجتمع..، وصدرت لي ثلاثة دواوين شعرية هي: - قصائد للفجر الآتي، ومشاهد من عالم القهر، والقدس تصرخ.

واستمرت علاقتي مع الشعر حتى سنة ١٩٨٥م حيث اتجهت للكتابة النثرية الأدبية، والتي تجلت في عدد من الأعمال القصصية . مثل:

- صور ومواقف من حياة الصالحين.

- صور ومواقف من حياة الصالحات.
- من قص النبي .
- شخصيات قرآنية.

*** يتردد في بعض الصحف على ألسنة بعض الأدباء والنقاد أن الشعر قد توارى في هذا العصر، وأن الرواية والقصة تقدمتا عليه جماهيريا ونقديا، فماذا تقولون في هذه الآراء؟**

كان الشعر في القديم ديوان العرب، وكان علم قوم لا علم لهم أصح منه، ومن هنا جاءت القيمة العالية للشعر، يضاف إلى هذا أن الشعر عبر العصور، وقبل اختراع الأجهزة الحديثة، كان يؤدي الوظيفة الإعلامية، ولذا كان العرب يفرحون إذا نبغ فيهم شاعر، لأن شعره يحفظ مكارمهم، ويعلي من ذكرهم، ويرد عنهم سهام خصومهم.

لكن هذا الوضع تغير في العصر الحديث، عندما انتشرت الكتابة بعد الإسلام، ولم يعد الشعر ديوان العرب، بل صار بعض الوثائق التي يرجع إليها إضافة إلى كتب التاريخ والأدب، وبقيت الوظيفة النفسية والأدبية للشعر باعتباره وثيقة لغوية وفنية واجتماعية.

وقد كان من أسباب تراجع مكانة الشعر في العصر الحديث:

أولا: وسائل الإعلام: حيث حل المذيع مكان الشاعر القديم.

ثانيا : ظهور ألوان حديثة من الكتابة، مثل الرواية والقصة اللتين زاحمتا الشعر كبديل غير كامل عنه.

*** هل من الضرورة الاعتقاد بأن القصيدة العمودية تنفي الإبداع الشعري الحر؟ وماهو رأيك في شعر التفعيلة؟**

من وجهة نظري فإن الشعر العربي الأصيل هو الشعر العمودي المنظوم، أما الشعر الحر فهو لون مستحدث من ألوان الشعر العربي،يناسب إيقاع العصر الحديث وطبيعته، ولا أرى أن أحد اللونين ينفي الآخر، وإن كنت أعتقد أن البقاء للشعر العمودي الموزون المقفى الذي عرفه العرب قديما.

ويبقى الحكم على الشعر - من قبل ومن بعد - للقراء أوالنقاد الذين ينظرون إليه من زوايا متعددة ومختلفة.

*** نريد أن نتعرف على تصوركم حول قضية ما زالت تفرض ذاتها على العديد من النقاد الإسلاميين، وهي مسألة الانفتاح على المناهج الغربية بقصد استثمارها في النقد الإسلامي المعاصر.**

بدأت مشكلة النقد منذ القديم، حيث ظهر نوع من السيطرة اليونانية على مناهج النقد، وإن كان هناك مدرسة نقدية عربية، إلا أنه لا يوجد نظرية عربية إسلامية في النقد بشكل واضح في تراثنا.

وقد كانت المناهج النقدية القديمة تتكئ على النقد اليوناني، ولم تراع المواضيع التي تطرق إليها هذا الأدب الذي ركز على الاتجاه المسرحي، في حين لم يكن الفن المسرحي معروفا بعد في الأدب العربي.

وهذا ما حدث في العصر الحديث، حيث ركز النقاد على مناهج النقد الحديثة الأوربية المستوردة، ولم يظهربعد في حياتنا الناقد الأصيل الذي يمتلك نظرية نقدية عربية إسلامية، وإن كان هذا بعض ما تسعى إليه رابطة الأدب الإسلامي العالمية، لإيجاد مناهج خاصة، للفنون الأدبية المختلفة واضعة نصب عينيها أن التراث الإنساني هو التراث المشترك للبشرية، لذا لا يجوز الانقطاع عما يصل إليه الفكر الإنساني في كافة المجالات.

فكما تقدم الإنسان في المجالات العلمية، تقدم في فهمه للأدب، ولذلك لا نملك إلا أن نتأثر بحكم وجود وسائل الاتصال الملزمة، ولكن المطلوب أن نمتلك ذاتية متميزة قادرة على التمييز بين ما ينبغي أن يؤخذ وما ينبغي أن يترك، مع الإشارة إلى أن بعض المدارس الأدبية والمناهج النقدية قد تكون لها خصوصيتها في البيئات التي ظهرت فيها، لارتباطها بأوضاع اجتماعية وفكرية خاصة.

*** اختلف الأدباء والنقاد حول وظيفة الأدب، فمنهم من جعله للإمتاع فقط، ومنهم من ارتقى به إلى أهداف تربوية وتأثيرية، فما وجهة نظركم تجاه هذه القضية؟**

في رأيي أن للشعر دورا في المعركة ضد الباطل، وللكلمة المنثورة دورا، وما الشعار الذي رفعه بعض (التابعين فكريا) بأن (الشعر للشعر) و (الأدب للأدب) إلا محاولة لتضييع الطاقة الفكرية عند كل من الشعراء والقراء معا، فلا بد أن يكون للكلمة معنى لا يستغلق على القارئ، ولا بد من أدائه بطريقة الأدب والشعر، تلك الطريقة التي تضفي الحياة على الجمادات، وتجسم الأفكار وتبعث المشاعر، وتحرك الخيال . فالأدب بحد ذاته ليس هدفا، بل وسيلة للتعبير عن فكر الإنسان.

د. مأمون جرار في سطور

- ولد سنة ١٩٤٩م في صانور إحدى قرى جنين.
- أنهى في مدارسها دراسته الابتدائية والثانوية.
- حصلت على شهادة البكالوريوس من الجامعة الأردنية سنة ١٩٧١م .
- أتم دراسة التربية في الدبلوم العالي سنة ١٩٧٣م.
- نال درجة الماجستير سنة ١٩٨٠م،
- اشتغل بالتدريس في وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٧١م،.
- انتقل للعمل في إمارة الشارقة سنة ١٩٨٠م.
- عمل في جامعة الملك سعود محاضرا في قسم اللغة العربية، من ١٩٨٢ - ١٩٩٠م.
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، سنة ١٩٨٧م .
- عمل في جامعة عمان الأهلية، - قضى سنة تفرغ في دار البشير للتأليف والكتابة، ١٩٩٢ - ١٩٩٣م.
- استقر به المقام في جامعة العلوم التطبيقية منذ سنة ١٩٩١م.
- شارك في معظم مؤتمرات الأدب الإسلامي.
- رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن.

*** باعتقادك ما الذي ساعد على انتشار المؤلفات البعيدة عن الإسلام والمناقضة له انتشارا واسعا، وقلة الإقبال على المؤلفات الأدبية ذات الاتجاه الإسلامي، آخذا بعين الاعتبار الأدباء الماركسيين، وتشعب انتشارهم، في حين اختفاء أسماء قديرة ذات اتجاه إسلامي؟**

كان الاتجاه منذ الأربعينات وحتى السبعينات في الكتابة اتجاها علمانيا غير ديني، وقد أسهمت وسائل الإعلام التي سيطر عليها الماركسيون في البلاد العربية (وبالذات في البلاد المؤثرة كمصر ولبنان) في الترويج للأدباء الماركسيين، وذلك بالإعلان عنهم، ودراسة مؤلفاتهم ونقدها، رافقه في المقابل ضعف في الإنتاج الأدبي الإسلامي، أو تعتيم مقصود على ما يظهر منه، أو كسل من الأدباء الإسلاميين في إظهار ما لديهم من الأدب.

*** « الأدب الإسلامي ليس هو - بالضرورة - الأدب الذي يتحدث حديثا مباشرا عن الإسلام، وهو على وجه اليقين ليس الوعظ والإرشاد والحث على اتباع الفضائل، وليس هو كذلك حقائق العقيدة المجردة، مبلورة في صورة فلسفية .. إنما هو الأدب الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود ».**
ما مدى تطابق هذه المقولة مع وجهة نظركم في تعريف الأدب الإسلامي؟

الأدب الإسلامي هوالأدب الذي ينطلق صاحبه أو منتجه من تصور الإسلام للإنسان والحياة والوجود، ويؤمن أن شعره وأدبه هو بعض عمله الذي يحاسب

عليه، لذا لا بد أن يسخر موهبته لتحقيق العبودية لله، التي هي سبب وجود الإنسان، متمشيا في ذلك مع قول الرسول : (إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة).

والحكمة فيها فائدة كبيرة للإنسان، ولكن لا يعني ذلك تحول الأدب لفكر محض، فللأدب لغته، وللفكر لغته، لذا لا بد من مراعاة جانب السحر الذي يعبر عنه بالصياغة الفنية التي تأخذ بالألباب، والالتزام بالقواعد الفنية في الأدب كيما يتميز عن الكلام العادي والتأليف الفكري.

*** هل تعتقد أن المؤلفات الموجهة للمرأة والمتحدثة عنها بصورة أساسية، تفيدها حقا، وتساعدها على أخذ دورها المناسب في المجتمع؟**

في رأيي هناك ظلم للمرأة في القصة والرواية العربية، وذلك لأن أكثر الأنماط والشخصيات التي ترد عنها، هي من الشخصيات غير السوية، ويندر أن تجد في وصف المرأة صورة للأم المجاهدة، أو الداعية الفاضلة، بل إن التركيز - للأسف - على الجوانب السلبية.

وأرى من الضروري أن توصف المرأة في الروايات والقصص بصورة معبرة عن الواقع، حتى لا تعطي صورة ناقصة عن شخصية المرأة العربية، وهذا الخلل يعود لاضطراب في شخصية كثير من الكتاب، أو لانتمائهم إلى شرائح فكرية معينة لا تريد إبراز جوانب الخير في المجتمع بل تريد تدميرها ...

ويبدو ذلك واضحا في شعر (نزار قباني) عن المرأة، فالمرأة التي تحدث عنها نزار في شعره هي المرأة المعشوقة أوالعاشقة التي يلتقي بها في الملاهي والفنادق .. أي المرأة غير السوية، المرأة التي ينظر إليها نظرة ذكر لأنثى، لا نظرة إنسان لإنسانة ينبغي أن يجلها عن الوصف المادي والتجسيدي.

*** ما رأيك في الحركة الأدبية والنقدية المعاصرة في الأردن ؟**

الحركة الأدبية والنقدية في الأردن هي جزء من الحركة الأدبية في الوطن العربي، وقد مرت فترة من الزمن كانت الهيمنة فيها للأدباء الكبار من بلاد عربية أخرى مثل : مصر وسوريا ولبنان.

وبدأنا حديثا نجد بعض الأسماء الأردنية تتخطى الإقليم، ونجد بعض الأدباء والمفكرين الأردنيين يحصلون على جوائز عربية مثل : مؤنس الرزاز، ورمضان الرواشدة، وغيرهم ..

وهذا مؤشر إلى أن الأدب الأردني بدأ يتخطى الإقليميات إلى الأفق.

وفيما يتعلق بالحركة النقدية، فهي على المستوى الأردني والعربي - بشكل عام - لا تزال متخلفة عن الإبداع، والواقع أن لدينا أقلاما في الأردن، لكن ليس فيها الناقد المتميز الذي فرض نفسه على الساحة المحلية أو العربية .

*** وأخيرا .. كلمات تحب أن تهمس بها للأديب المسلم الناشئ..**

في الحقيقة لست في موقف التوجيه والإرشاد، لكن إذا كان لي من كلمة للأدباء الإسلاميين الناشئين وغير الناشئين، أقول: ينبغي أن نعطي الأصول الفنية حقها من خلال معرفة أصول كل فن أدبي،والاطلاع على النماذج الأدبية الراقية، حتى نقدم للناس أدبا إسلاميا يفرض نفسه، وألا تغلب النزعة الفكرية أو (الظاهرية الإسلامية) على الأدب الإسلامي، وأقصد بالظاهرية الإسلامية، المفهوم الشائع للأدب الإسلامي، من أنه الأدب الذي يحشد الآيات والأحاديث والوعظ، ويقحمها في النص الفني إقحاما، دون مناسبة بحيث يتداخل مفهوم الأدب والفكر مع بعضهما. ■